سعادة البشرية

للإمام الشهيد عبد الله عزام

نشر واعداد:
مركـز الــشهيد عــزام الإعـلامــي
ها تـف (840480)
ص.ب (1395) بيشاور - باكستان

سعادة البشرية في ظل المنهج الرباني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله عن المسلمين خيرا وبعد.
فهذه القضية ليست رأيا خاصا لي، فالأمر أكبر من أن يفتي فيه البشر، إنها سنن الله في الحياة، شهدت بها الآيات البينات، وأيدتها الأحاديث الشريفة، وعاشتها النفوس الصادقة واقعا حيا نظيفا ، وذاقته البشرية الشاردة عن منهج الله مرارة وألما وشقاء .
لقد قرر رب العزة هذه الحقيقة في كتابه العزيز فقال:
(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى)
(طه: 123 - 124)
فهي معادلة ربانية لا تتخلف خلاصتها:
طاعة الله -عزوجل- تساوي السعادة في الدارين.
عصيان الله -عزوجل- يساوي الشقاء في الدارين.
هذه المعادلة الربانية، والقاعدة الإلهية للحياة البشرية تعيش في ظلها البشرية في الأولى، ولا يتوقف عمل القاعدة عند هذه الحياة بل تواصل إنطباقها فيما وراء هذه الدنيا، ولئن اعتاد البشر أن يروا السنن الالهية الكونية التي تخص المخلوقات لا تنطبق في عالم البرزخ، فإن السنة الربانية للحياة البشرية متصلة أولاها بأخراها.
فدوران الكواكب، وإضاءة الشموس، وإنارة الأقمار، وبزوع الشمس من مشرقها، كل هذه السنن الالهية في الكون تتوقف، ويضطرب نظام الكون عند القيامة، وتبزغ الشمس من مفربها، و تنطفئ شعلتها، ويظلم قرصها.
(إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البحار سجرت)(1)
(التكوير: 1 - 6)

1- كورت: ذهب نورها، انكدرت: تساقطت، العشار: النوق الحوامل مفردها عشراء أي مر على أشهر حملها عشرة، عطلت: تركت بلا راع وبلا حلب، سجرت: أوقدت فصارت نارا أو صارت بحرا واحدا ، انفطرت: انشقت (انظر تفسير الجلالين، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني.
(إذا السماء انفطرت، واذا الكواكب انتثرت، وإذا البحار فجرت، وإذا القبور بعثرت)
(الإنفطار: 1 - 4)
وقبل أن نبدأ بعرض تفاصيل القاعدة وشواهدها لا بدلنا أن نتذكر حقائق كبرى كثيرا ما يغفل الانسان عنها في زحمة الحياة.
الحقيقة الأولى: أن المخلوقات جميعا صدرت من بين يدي رب العالمين.
(الله خالق كل شئ وهو على كل شيء وكيل)
(الزمر: 62)
الحقيقة الثانية: لكل مخلوق قانون يسير عليه، لا يستطيع أن يند عنه، ولا يملك الخروج عليه.
(إنا كل شيء خلقناه بقدر)
(القمر: 49)
(... وكل شيء عنده بمقدار)
(الرعد: 8)
(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون، والشمس تجري لمستقرلها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)
(يس: 36 - 40)
فالشمس والقمر والنجوم وجميع المخلوقات تحكمها قوانين لا تتخلف لحظة في الدنيا، و تسيرها سنن ربانية لو خرجت عنها لحطمت وتحطمت وانتهى دورها.
الحقيقة الثالثة: الإنسان كمخلوق من مخلوقات الله تحكم جسده قوانين، وتس ير أجهزته سنن ربانية، فالعين تبصر ولا تسمع والاذن تسمع ولا تبصر، والقلب ينبض الدم ولا يملك أن يغير وظيفته لهظم الطعام أو للأبصار.
ومن الناحية الأخرى: أنزل الله له قوانين تحكم سيره في الحياة، وتنظم علاقته بما حوله من المخلوقات، وهذه القوانين ترك له الحرية في انتهاجها أو تنكبها، فإن اتبعها فقد وازن بين القوانين التي تحكم فطرته وبين القوانين التي طبقها في حياته وتعامله، وكذلك نسق بين قوانين حياته وبن قوانين الله التي تحكم الكون.
الحقيقة الرابعة: وهي منبثقة من الثالثة: القوانين التي تحكم الأفلاك والمجرات والحياة من عند رب العالمين، والقوانين التي نزلت للانسان من عند رب العالمين كذلك، ولذا فهي لا تصطدم، وهنا تنشأ السعادة لأن التناسق والتوافق بين النفس البشرية بجزئيها (الإرادي واللإرادي)، بين النفس البشرية والكون حولها ينشأ من اتباع قوانين واحدة، مصدرها واحد، وهدفها واحد هو طاعة رب العالمين واتباع منهاجه.
(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، ومن يهن الله فماله من مكرم، إن الله يفعل ما يشاء)
(الحج: 18)
الحقيقة الخامسة: أن الله أعلم بما خلق، ويحب الخير لها، ولذا فهو يرسم لها طريق السعاده، (ألا يعلم من خلق؟ وهو اللطيف الخبير) بلى، يعلم.
والله -عزوجل- بالناس رؤوف رحيم، غني عن مخلوقاته ولكنه يرعاها وهو أرحم بها من امهاتها ففي الحديث المتفق عليه عن عمر رضي الله عنه في قصة المرأة التي فقدت ابنها في السبي ثم لقيته فقال

ص أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها . متفق عليه (رياض الصالحين) باب الرجاء.

فكما أن البشرية قد اعتادت أن ترد الآلات إلى مهندسها. لأنهم يعلمون أن أكثر الناس بها خبرة، وأقدرهم على تشغيلها، فلله المثل الأعلى هو الذي يجب أن ترد إليه -سبحانه- مشاكل البشر ليحلها. فمهندس الثلاجة أو السيارة يضع إرشادات لطريقة أعمالها، ولا تسير السيارة بحالة إن لم نضع فيها الوقود التي اشار إليها المهندس، ولابد أن نضغط على نفس الأزرار التي بينها، وإن خالفنا تعليمات المهندس فإننا سنحرق الآلة أو نحاول عبثا إدارتها.

وهذا الإنسان لا يعمل إلا بالطريقة التي رسمها رب العالمين في كتابه، أو من خلال الوحي الذي انطلق ألفاظا شريفة على لسان نبيه ص، وكل محاولة لمخالفة صانع الأنسان وفاطره فهي محاولة لتعطيله أو إفساد فطرته.

الحقيقة السادسة: القلوب صناعة علام الغيوب وبيده مفاتحها، يفتحها متى شاء ويدخل إليها السعادة، فإن اقفلها فلا فاتح لها.

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)

(فاطر: 2)

الحقيقة السابعة: اتباع دين الله هو الحياة والبعد عنه هو الموت .

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)

(الأنفال: 24)

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا...)

(الشورى: 25)

أي حياة للقلوب والنفوس.

(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده)

(النحل: 2)

فدين الله روح وحياة، وبدونه الإنسان لا حياة فيه .

(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها

(الأنعام :122)

أي ليس الكافر الذي مات قلبه كالمؤمن الذي احياه الله بالهدى.

الحقيقة الثامنة: من وجد الله وجد كل شئ ومن فقد الله فقد كل شئ، من عرف الله ذاق سعادة الدارين، ومن نسي الله أنساه نفسه.

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)

(الحشر: 19)

الحقيقة التاسعة: قانون الذنوب والمصائب مصائب الناس قسمان: مصائب الأنبياء -وهم معصومون من الذنوب- لرفع الدرجات، ومصائب غير الانبياء -غير المعصومين- لتكفير السيئات ثم رفع الدرجات .

القانون يقول: الذنوب تؤدي إلى مصائب.

مصائب زائد صبر يساوي مغفرة الذنوب.

وهذا القانون مسطر في كتاب رب العالمين:

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)

(الشورى: 30)

وهذا القانون لخصة سيدنا على رضي الله عنه بقوله ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة .

وقال الحسن: بلغنا انه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبه قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر(1) قال القرطبي قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ص وذكر الحديث(2).

وفي الحديث الصحيح: والذي نفسي بيده مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها .
وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ص قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه (3).
قال ابن خيرة(4): -من أصحاب علي رضي الله عنه- جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة، قيل وما التعسر في اللذة؟ قال لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصه إياها .
يقول مالك بن دينار(5): إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك، وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك .
وهذا القانون يعم كل جوانب الحياة من أمراض بدنية ونفسية، ومن ضيق في الرزق وضنك في العيش، وشدة في الحياة، وانحباس في المطر، وم ح ل في الأرض وقحط في الزرع، كل هذا بسبب الذنوب.
جاء في الحديث الصحيح(6) الذي رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر مرفوعا : كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ص فاقبل علينا رسول الله ص بوجهه فقال: يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن:

1- ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.
2- وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان.
3- وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.
4- ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.
5- وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا .

قال الض ح اك(7): ما تعلم رجل القرآن ونسيه إلا بذنب
وقال مرة الهمداني(7): رأيت على ظهر كف شريح قرحة، فقلت: يا أبا أمية، ما هذا، قال: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.
وقال ابن عون(7): إن محمد بن سيرين لماركبه الدين اغتم لذلك، فقال: إني لأعرف هذا الغم هذا بذنب أحبته منذ أربعين سنة .
وقال عكرمة(7): ما من نكبة اصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها .
وكلام عكرمة هذا هو خلاصة قانون المصائب: أنها اما بذنب فجاءت البلية لتكفره، أو لأن الله يحب المرء فيريد رفع درجته عنده فيصيبه البلاء. ولكن لا ينزل البلاء كذلك بالصالحين الذين يريد الله أن يرفع درجاتهم إلا بسبب ذنوبهم وهفواتهم.
وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا القانون فتراهم يفسرون الأحداث من خلاله، قال الحسن(8):
دخلنا على عمران بن الحصين فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فو الله إني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فهذا فما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي اكثر
وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني(8) ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم، فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم.
وهذا القانون (الذنوب سبب المصائب) ورد في كثير من الآيات والأحاديث وعلى لسان الصحب الكرام والسلف الصالح كما أوردنا آنفا قبسات من مشكاتهم ففي الكتاب العزيز:
(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم: 30)

وأنت تلمح من خلال النظم الكريم رحمة الله الواسعة بأن الفساد كان عقوبة لبعض ذنوب الناس، ولكن لو حاسب الله المخلوقات على جميع ذنوبهم ما ترك على ظهرها من دابة.
(ولو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)
(النحل:16)
وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب(9): (توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها علي أبرارها، وساد القبيلة منا فقوها).
وذكر الإمام أحمد عن صفية(01) قالت: (زلزت المدينة على عهد عمر فقال: يا أيها الناس ما هذا: ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا تجدوني فيها ففسر عمر سبب الزلزلة بالمعاصي التي أحدثت في المدينة.
وقد يقول قائل: ان سبب الزلزلة أمر جيولوجي أرضي من تقلص في قشرة الأرض أو غير ذلك، ونحن نؤمن معه على هذا السبب الظاهري، ولكن ما السبب الحقيقي الذي كانت نتيجتة أن يأمر الله بالزلزلة، أنه الذنوب والذنوب فقط.
وروى الإمام أحمد(11) بإسناده عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ص يقول: إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعو بالعينة واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء، فلايرفعه حتى يراجعوا دينهم وورواه أبو داود بإسناد صحيح.
قال ابن القيم(21) وإن الذنوب لتعم مصائبها الحيوانات والحشرات والجعلان في جحورها، يقول الله عزوجل:
(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)
(البقرة: 159-160)
قال ص: اللاعنون: دواب الأرض (31) رواه ابن ماجة بإسناد حسن
قال مجاهد وعكرمة(41): هي الحشرات والبهائم يصيبها الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم
قال ابن مسعود(41): كاد الجعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم.
قال أبو هريرة(41): والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزلا في وكرها لظلم الظالم.
قال عكرمة(51): دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم.
لقد كان إهلاك الأمم السابقة، ودمار عمرانها، وبوار إنتاجها، وسحق أبنائها بسبب الإنحراف عن منهج الله وتنكرها له.
(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا)
(يونس: 13)
(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد)
(سبأ: 8)
فالذين انطمست بصائرهم، وجحدوا فطرتهم، وأنكروا آخرتهم في عذاب واصب، وشقاء دائب، وتيه مستمر وجحيم مستقر في هذه الدنيا وفي الآخرة وإلا فاخبرني بربك ما الذي أغرق الأرض بأحيائها وأشجارها وأناسيها زمن نوح عليه الصلاة والسلام إلا الإعراض عن منهج الله.
وما الذي أهلك عادا إرم ذات العماد، فاحالها كاعجاز نخل منقعر، سوى البعد عن دين الله، وما الذي أرسل الصيحة على ثمود فاصبحت كهشيم المحتظر سوى التنكب لطريق الله أيكفيك هذا؟ أم لا بد أن تمر بخرائب مدين، وخرائب أصحاب الأيكة لتدرك أن مغبة الإعراض عن دين الله عاقبته وخيمة، ونهايته خطيرة. وسنرى بالتفصيل من خلال الصفحات القادمة كيف تسبب الذنوب ضيقا في الرزق وهزيمة في المعركة ونسيانا للعلم.
ففي الرزق: (ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه(61) ولفظ ابن ماجة عن ثوبان قال: قال رسول الله ص: لا يزيد في العمر الا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الزوائد: إسناده حسن.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم(71) وقال صحيح الإسناد عن أبي هريرة عن النبي ص: خرج نبي من الأنبياء يستسقي فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من شأن النملة . وجاء في بعض رواياته اللهم نحن خلق من خلقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم .
وأما هزيمة المعركة فقول الله تعالى:
(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم)
(آل عمران: 159)
فهزيمة المعركة كانت نتيجة لبعض الذنوب وأما العلم فعن ابن مسعود مرفوعا (81): إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به الشئ من الرزق، وأنه ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم كان قد علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمنع قيام الليل .
وكل هذا سنراه تفصيلا ونحن نطرق أبواب السعادة البشرية بابا بابا ، وندرك أثر طاعة الله في السعادة، ونتيجة الذنوب حدوث المصائب والمحن والشقاء والبوار، والحق أن هذه القاعدة هي جماع الأمر كله في هذا الدين، بل خلاصة دين الله هي هذه القاعدة، ولذا لا يستطيع الإنسان أن يوفيه حقا ولو كان من كبار العلماء واساطينهم فكيف بعبد صغير جاهل مثلي؟
واذا ضربنا أمثلة فإنما هي علي سبيل توضيح القاعدة لا على سبيل الحصر فإن الأمثلة كثيرة من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ودعنا نرى بعض الأمثلة الشاهدة لهذه القاعدة الكبرى.
ونبدأ الآن بذكر بعض أبواب السعادة البشرية:
1- السعادة النفسية والراحة القلبية:
لا يختلف اثنان أن غاية ما يصبو إليه الإنسان هو إدراك السعادة في أعماق فؤاده، والشعور بلذة العيش وطيب الحياة، فكده واجتهاده، ونصبه ووصيه كله من أجل تحقيق الراحة النفسية والطمأنينة في كيانه، ومفتاح هذا الباب خارج عن إرادة البشر، وليس بمقدور الانسان، لأن القلب الذي هو مستقر السعادة بين أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، ولذا فليس من سبيل إلى راحة الروح ورو ح القلب الا باستمطار رحمة الله ليفتح هذا الفؤاد بمفاتحه وينعم عليه بالسعادة، ولا مفر للإنسان -إن شاء أن يسعد- إلا أن يسلك هذا الطريق الوحيد للسعادة النفسية. وإلا فليعش في الشقاء كيف يشاء.
لأن الروح التي هي من أمر الله، وهي صبغة الله، وفطرته لا يمكن أن تجد الراحة الا أن تشبع، وتشبع بنظام رباني، شأنها شأن المعدة الجائعة التي لا تهدأ إلا بالطعام والغذاء ولا يسد جوعتها ولا يؤمن راحتها رؤية المال ولا ضجيج الإعلام، ولا هتاف المجد من أفواه الملايين، انما يريح الممعدة الجائعة قطعة خبز تدخلها فتوقف اعتصارها بالألم عنه.
وكذلك الروح لا يريحها قناطير الذهب، ولا وسائل الترفيه ولا ادوات الراحة المادية، انما يشبعها صلة بربها فتهدأ، وتفيض السعادة منها على النفس البشرية ولعلنا بحاجة أن نرى بعضه النصوص الشاهدة على هذا.
ففي الذكر الحكيم:
(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعلمون)
(النحل: 97)
والآية تشير بوضوح أن العمل الصالح يثمر الحياة الهانئه الوادعة المباركة الطيبة ويقول جل شأنه:
(وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله)
(هود: 3)
والمتاع الحسن كما قال ابن كثير(91) في الدنيا ومعناه سعة الرزق ورغد العيش كما ذكره القرطبي(02).
وجاء في محكم التنزيل:
(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)
(طه: 123)

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة الأعمى)
(طه 124)
قال بعضهم(12) لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته، وتشوش عليه رزقه وكان عيشه في ضنك.
روى خالد بن يزيد عن السفيانين عن التيمي عن خيثمة عن ابن مسعود (22) مرفوعا : لا ترضي ن أحدا بسخط الله، ولا تحمدن أحدا على فضل الله، ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله، فآت رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده عنك كراهيه كاره، وأن الله بعدله وقسطه جعل الرو ح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .
والسعادة النفسية ثمرة طبعية ونتيجة منطقيه مباركة لعقيدة القدر التي تشيع جو الطمأنينة في أرجاء النفس.
(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور)
(الحديد 22 - 23)
فالمسلم هادىء النفس، مستقر الضمير، هانئ السريرة، منشرح الصدر، لا يستخفه متاع قليل فيبطر ويأشر، ولا يفجعه عرض زائل فيكفر، قال جعفر الصادق(32): (يا ابن آدم مالك تأس على مفقود لا يرده عليك الفوت، أو تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت).
وقال الفضيل بن عياض(32): (الدنيا مبيد ومفيد، فما أباد فلا رجعة له، وما أقاد آذن بالرحيل).
ولو عشت حياة السلف الصالح ساعة لاستصغرت حياتك كلها، بل أدركت أنك عشت فقط تلك الساعة، لو رأيتهم وهم يصفون ساعات حياتهم، ويعبرون عن مقدار صفو عيشهم، وهناء قلوبهم، فقد كانوا يتعاملون مع الله المسير للقدر بنفسية راضية مطمئنة، أن ما يتنزل عليهم من أمور الدنيا هو الخير لأنفسهم، لأن الله يعلم ما لا يعلمون، فإذا أصابتهم بلية أبصروا ببصائرهم مصدر المصيبة فصبروا، واذا اسبغ الله عليهم نعمة نظروا إلى يد المنعم فشكروا.
قال الربيع بن صالح(32): (لماذا أخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك، ولما تذهب إليه، قال، فلا تبك، فإنه كان في علم الله أن يكون. ألم تسمع قوله تعال:
(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)
(الحديد: 22)
بل إن بعضهم ليستريح ويفرح إذا أصابه البلاء لما ينتظره من الثواب.
فعن أبي سعيد(42): (قلت يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء ؟ قال: (الأنبياء) :قلت يا رسول الله! ثم من؟ قال: ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتي ما يجد أحدهم الآ العباءه يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء) قال أبو مسلم الخولاني: (ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها من إياها لوبقيت لك(52) وقد عبر بعضهم عن هذه السعادة قائلا (62): لو علم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف وقال آخر(62): إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا انهم لفي عيش طيب.
وقال ابن تيمية(72): إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة وقد أشار النبي ص(82) إلى هذه الجنة بقوله: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر .
يقول ابن القيم(92) قال لي الشيخ ابن تيمية مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، اين رحت فهي معي لاتفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.
وقال لي في السجن: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه، وليس يعني هذا الآ أن الأمور عندهم كلها خير، وهم مطمئنون لقضاء الله، لا تهزهم أعراض الدنيا التي يموت أهلها كمدا إذا فاتتهم، وينتحرون إذا أملوا ببعض متاعها فأخطأهم. أما السلف، والخلف الذين ساروا على نهج السلف، فإنهم يجعلون الفرح شكرا ، والحزن صبرا كما قال عكرمة(03) -تلميذ ابن عباس-.

يقول ابن مسعود(13): لأن أمس جمرة أحرقت وما أ حرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشئ لم يكن ليته كان.
وما أجمل كلام ابن القيم في هذا:
وإذا اعترتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أكرم
وإذا شكوت الى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم
قال قتيبة بن سعيد: دخلت على بعض أحياء العرب فإذا أنا بفضاء مملوء من الأبل الميتة بحيث لا تحصى، و رأيت شخصا على تل يعزل صوفا فسألته، فقال: كانت باسمي فارتجعها من أعطاها ثم أنشأ يقول:
لا والذي أنا عبد من خلائقه والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن
ما سرني أن أبلي في مباركها وما جرى من قضاء الله لم يكن
ولذلك فحال المؤمن يتدرج بين الصبر والشكر، بل بعضهم يرتقي من منزلة الصبر على المصيبة إلى الرضا وكان أحدهم يعبر عن الرضا فيقول:
حسبي من الحب أني لما تحب أحب
أي أني أحب ما تحبه يا رب.
هذه النفوس العالية كيف تهزها الأحداث؟! هذه الصدور الكبيرة كيف تقلقها النوازل؟! هذه القلوب المطمئنة كيف تزلزها المحن؟! هذه الأقدام الثابته كيف يزعزها سراب الدنيا ومتاعها الرخيص؟!.
إنها قمم سامقة لا تتسلقها النفوس الصفيقة، ولاتصعدها الأقدام الواهنة، ولا تقوى عليها القلوب المريضة السقيمة.
وما أجمل قول الرسول ص: عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له (رواه مسلم، أنظر رياض الصالحين (29)).
وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد أسباب انشراح الصدر وذكر منها:
1- التوحيد:
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون)
(الأنعام: 125)
وتأمل في النص القرآني الذي يصف قلب المؤمن بالسعة والراحة، وأي لذة وأى نعيم في الدنيا يعدل راحة القلب وسكينته وسعة الصدر وسلامته، وكيف أن قلب الكافر ضيق فهو متوتر الأعصاب، حرج: والحرج اضيق الضيق كما قال الزجاج(23): كأنما تحمله في مركبة فضائية، وتطلقه في السماء فيكاد يختنق لضيق التنفس، بل قد ينفجر مالم توفر له جو ا يعادل الضغط الداخلي، إنها معجزة القرآن الذي نزل من عند رب العالمين في وقت لم يكن أحد في الأرض قد صعد الآفاق العليا، وجرب ضيق التنفس، وحرج الصدر، والنزيف الداخلي، ثم يعقب رب العزة قائلا (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) والرجس: هو العذاب كما قال ابن زيد(23) وأصل الرجس في اللغة: هو النتن، فحياة الكافر في العذاب والنجس والنتن.
قال ابن مسعود(23) يا رسول الله! وهل ينشرح الصدر؟ فقال: نعم يدخل القلب نور، فقال: وهل لذلك علامة؟ فقال ص: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل نزول الموت .
2- العلم النافع: فإنه يشرح الصدر، ويسر القلب، وأما الجهل فيورث الضيق والحصر والحبس.
3- المحبة فإنها نعيم القلب وسعادة الروح وسرور النفس، ومحبة غير الله سجن للقلب وعذاب للروح بالشئ الذي تعلق به وهو عذاب الروح وضيق الصدر.
4- الإحسان: فإن المحسن أطيب الناس نفسا وأشرحهم صدرا وأنعمهم قلبا .
الشجاعة: فهي سرور النفس ولذتها ونعيمها وابتهاجها، وهذه كلها محرمة على كل جبان.

5- ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم، فإن هذه الفضول تورث الإما وهموما وغموما في القلب تحصره وتحبسه ويتأذى بها.
1- تفسير ابن كثير (4 / 314).
2- تفسير القرطبي (16 / 31).
3- رياض الصالحين باب الصبر ص(33).
4- تفسير ابن كثير (3 / 533).
5- سمير المؤمنين ص(20).
6- سنن ابن ماجة كتاب الفتن (2 / 1332)، جاء في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به وقد اختلفوا في ابن أبي مالك.
7- تفسير القرطبي (ج 16ص30-31).
8- تفسير القرطبي (16 / 31).
9- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء لشافي لابن القيم ص(45).
01- الجواب الكافي (43).
11- الجواب الكافي (43). ومعنى ضن: بخل. العينة: أن يبيع شيئا لغيره بثمن مؤجل ويسلمه للمشتري ثم يشتريه منه قبل قبض الثمن بنقد أقل تحايلا على الربا، اتبعوا أذناب البقر: اشتغلوا بالزرع والحرث في زمن يفرض فيه الجهاد.
21- تهذيب الإمام ابن القيم على مختصر أبي داود للمنذري (ج8/104) يقول ابن القيم ربعة أحاديث تحرم الينه: فهذا اسناده حسنان يشد أحدهما الآخر.
31- أنظر تفسير القرطبي (187/2).
41- أنظر تفسير القرطبي (361/14)، وتفسير ابن كثير (3/ 562)، وتفسير الطبري (14/176)، وفتح القدير للشوكاني (3/172) ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير للرازي (5/321)، الحبارى: طير صغير، هزلا : ضعفا ، الوكر: العش.
51- الجواب الكافي لابن القيم (53).
61- رواه أحمد عن ثوبان مرفوعا أنظر كشف الخفا ومزيل الألباس (1/280)، وانظر سنن ابن ماجه (2/1334).
71- أنظر المجموع شرح المهذب (5/67)، وانظر تلخيص الحبير لابن حجر في تخريخ أحاديث الرافعي الكبير مع المجموع (5/94).
81- أنظر كشف الخفاء ومزيل الألباس (1/280).
91- تفسير ابن كثير (2/435).
02- تفسير القرطبي (9/4).
12- تفسير القرطبي (11/259).
22- جامع بيان العلم وفضله (1/204).
32- تفسير القرطبي (17/258).
42- رواه ابن ماجة رقم (4024) (ج 2/1335)، وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.
52- أنظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص(472).
62- أنظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (701).
72- الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص(81)، وانظر ابن تيمية للأستاذ أبي الحسن الندوي ص(165).
82- الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس، أنظر عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي (ج13/44).
92- الوابل الصيب ص(81)، وابن تيمية للندوي ص(165).
03- أنظر تفسير ابن كثير (4/314)، وتفسير المراعي (27/181).

13- تفسير روح البيان لاسماعيل حقي (9/375).
23- تفسير القرطبي (7/82).
33- القرطبي (7/80)، وقد روي الحديث الترمذي، أنظر زاد المعاد (1/152).

مأساة الفكر الغربي*

(- نشر في منبر المجتمع (مجلد المجتمع) عدد (425) بتاريخ (91) جمادي الآخرة (1041هـ) الموافق (1891/4/41م).
إن المتتبع لكتابات الكتاب الغربيين وخاصة الكتاب الطليعيين أو رواد مسرح اللامعقول من الوجوديين ليرى العجب العجاب من القلق من خلال أسطرهم التي تفح بالآلام وتعتصر بالأسى.
إن اليأس، والقلق، الألم، الملل، العبث، التمرد، التمزق، المأساة، الشقاء، الصدمة.
هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكتاب.
إقرأ إن شئت للكاتب الفرنسي (كامي).
مسرحياته:
(الرجل المتمرد) و (مسرحية: سوء التفاهم) و (مسرحية: حالة الحصار) يقول كامي(1):
(ينبغي ألا نؤمن بشئ في هذا العالم سوى الخمر، أن صيحته هي: الموت للعالم، حطموا كل شئ، يجب أن نلغي كل شئ، الالغاء، والاطاحة هو إنجيلي).
ويقول أرثر ميللر الأمريكي(2) (في مسرحيته -بعد السقوط-): (إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون).
ويقول سلاكرو(3) (الكاتب الفرنسي): (أن الآلهة لا علم لها إلا أن تعبث لحطام الإنسان).
واقرأ إن شئت كذلك مسرحيات جان بول سارتر الفرنسي: (جلسة سرية) (موتى بلا قبور)(الأيدي القذرة)، (البغي الفاضلة)، (سجناء الطونا).
واقرأ من كتبه: (موته الروح، سبل العقل، عصر الحرية، الذباب).
يقول يونسكو الفرنسي: (الواقع كابوس مؤلم لا يطاق) وطالع كتابه (قاتل بلا أجر)(4) والموت هو مشكلة المشاكل في نظر الكتاب الغربيين فالموت يثير الرعب لأنه واقعة فظيعة في حد ذاتها، بل لأنه يجعل كل الحياة التي سبقته عبثا وسخفا كما يقول صومئيل بكت في كتابه (الأيام السعيدة) فاليأس والعبث والألم والقلق هو عنوان الحياة الغربية -يري هيدجر-: إن الحياة الحقة تكون في اليأس.
أما سارتر: فيرى أن الحياة الحقيقة تكون فيما وراء اليأس.
بل يقول سارتر: (الإنسان في صميمه قلق).
أما نيتشه -الفيلسوف الألماني- فيرى أن الإنسان بين التسليم والتمرد فوجوده تمزق وسلب وهو فريسة لعالم اللامعقول ولا يجد الخلاص إلا بالجنون الذي يخلصه من تعاسته الحاضرة، ويرى نيتشه أن اليأس والقلق شرطان دائمان للفطمة الإنسانية.
أما كير كجارد: رائد الفلسفة الوجودية فيقول: أن الوجود معناه: أن نعاني اليأس والقلق حتما ، إن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية -ولذا نجده قد حاول الإنتحار مرارا - إن الوعي يظهر دائما في صورة القلق، وأما اليأس فهو الحد الذي يفضي إليه.
لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكير كجارد حتى الموت.
وهناك عنوان لأحد كتبه (الخوف والرعدة).
وعنوان لبحث له (اليأس أو: المرض حتى الموت)(2).
هذه هي الملامح الرئسية للعالم اليوم، والتي تبرز واضحة مجسدة في معطيات كبار الكتاب والمفكرين والأدباء فوضى تأخذ بخناق العالم، تبعثر كل ما تبقى فيه من نظام، وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية، والإنسان اليوم يرى هذا الإعصار الفوضوي المأساوي يحيق بالانسانية

ويدمر كيانها ويسحق آدميتها، آلية طاغية عارمة حولت الإنسان الى آلة وسحقت كل تجارب الروح والوجدان، وجماعية صماء قضت على كل مطمع بالتفرد والنبوغ والتفوق والإبداع واختلال رهيب بين كفتي المادة والروح.
وعزلة غريبة مضنية إزاء عالم أصم لا يتسجيب لتوسلاته، وسقوط وتهافت في سائر النظم الوصفية السياسية والإجتماعية والعسكرية التي تمسك بزمام العالم اليوم، بالإضافة إلى الخوف العالمي من الدمار والحروب والقنابل الذرية(6) وميكافيلية تضحي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.
وكلمة أوسبورن (7) الكاتب الإنجليزي في مسرحيته (المسافر) هي خير تعبير عن حالة الإنسان الغربي: (نحن موتى، مكدودون، مضيعون، نحن سك يرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون).
كل هذا نتيجة:

1- الفراغ الهائل بعد نبذ الدين نهائيا من الحياة.
2- العزلة عن الإسلام والمجتمع والحياة الفردية القاتلة.
3- فقد المثل الأعلى في الحياة والهدف من العيش.

1- أنظر كتاب فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصـر د.عماد الدين خليل ص(120- 121).
2- فوضى العالم ص(32).
3- فوضى العالم (155).
4- فوضى العالم ص(135).
5- أنظر كتاب دراسات في الفلسفة المعاصرة د. زكريا ابراهيم -القاهرة سنة (1968م) وكتاب المذاهب الوجودية- ويجيس جوليفيه ترجمة فؤاد كامل.
6- يتعرف عن كتاب فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ص(109).
7- فوضى العالم -عماد الدين خليل- ص(49)، ولقد حضر مسرحية (أنظر وراءك بغضب) ستة ملايين وسبعمائة وثلاثة وثلاثين الف شخص.

مقالات

رعي الإبل أولى من رعي الخنازير*

*- مقالات للإمام الشهيد نشرت في منبر المجتمع (مجلة المجتمع عدد (876) بتاريخ (1984/7/10م).

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا وبعد:
يروي لنا التاريخ أن الفونسو السادس حاكم قشتالة وليون في إسبانيا أراد أن يبتلع الأندلس كلها مدينة مدينة، وفي ذلك الوقت كان أمراء الطوائف إذ كانوا أنذاك سبع ملوك في المدن السبع الكبرى (سرقسطة، قرطبة، طليطلة، بطليوس، أشبيلية، غرناطة، بلنسية).
وصدق فيهم قول شاعرهم، قال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني فيهم:

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وبلغ السوء بملوك الطوائف أن يقدموا عروضهم عن الفونسو السادس بمساعدته ضد إخوانهم وكان المعتمد بن عباد (صاحب إشبيلية وقرطبة) أقواهم، ولكنه صانع الفونسو واستخذى له وسكت عليه وهو يأكل أراضي المسلمين التي يحكمها إخوانه، وكان يدفع للفونسو ضريبة سنوية، ولكن الغرور الذي ملأ نفس الفونسو جعله يطلب المزيد من التنازلات من المعتمد، وأرسل إليه ليقدم المراسم الزائدة في الإستخذاء والهوان، فارسل وفدا برئاسة وزيره اليهودي (إبن شاليب) وطلب من المعتمد بن عباد

أتاوات فادحة، وأبلغه أن الفونسو قرر أن تلد زوجته في مسجد قرطبة بناء على إشارة القساوسة، وأن تنزل الزهراء (مدينة بناها الناصر على بعد خمسة أميال من قرطبة).
فاهتز المعتمد بن عباد لهذه المطالب وقتل رسول الفونسو فغضب الفونسو وبدأ يعد للهجوم على إشبيلية.
كان هذا سنة (475 هـ) وجاء نذير الخطب الفادح عندما سقطت طليطلة سنة (478 هـ) فانتفض المعتمد واتصل بالمتوكل حاكم بطليوس وطلب إليه أن يرسل إليه قاضيه، واجتمع مع قاضي غرناطة وأضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون، واستشارهم في استدعاء أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لإيقاف هذا السيل الداهم من الشر، فأخذت بطانة السوء تحذره من مغبة عاقبة دخول المرابطين، وتزين له عدم استدعائهم بحجة أن المرابطين سيستولون على عرشه إذا انتصروا على الفونسو، أما القضاة فقد محضوه النصح باستدعائه لإنقاذ الإسلام في شبه الجزيرة الأندلسية، وعندما رأى ابن عباد حاشية السوء تصر على عدم الإستعانة بالمرابطين صاح في وجههم قائلا كلمته المشهورة: (رعي إبل البربر خير من رعي خنازير الإفرنج).
وأرسل وفده من القضاة الثلاثة ووزيره لاستدعاء يوسف بن تاشفين فاستجاب يوسف لنجدة إخوانه في الأندلس ولنصرة الإسلام فيها وكانت معركة الزلاقة الشهيرة في (12) رجب سنة (479 هـ) ونصر الله جنده وأعز دينه، ولقد أمدت وقعة الزلاقة في عمر الإسلام في الأندلس أربعة قرون.
وهنا نقف أمام معالم هذا الحدث العظيم للعبرة:
(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)
(يوسف: 111)
(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)
(ق: 73)
1-أول ما يتبادر إلى الذهن من العبر هو أن الموقف الصادق من حاكم واحد قد يحفظ الله به الأمة المسلمه لقرون قادمة تحمى بها الأعراض وتحقن بها الدماء وتصان بها الأمة معززة مكرمة، وهذا يظهر جليا من كلمة المعتمد بن عباد: (أن اكون راعيا لإبل يوسف بن تاشفين المسلم البربري أحب إلي من أن أكون راعيا لخنازير الفونسو السادس النصراني).
إنها لحظة اختيار، والسعيد فيها من وفقه الله لاختيار الخير لدينه ودنياه، وكم من الناس اختاروا هواهم فخسروا دنياهم واخراهم.
ومن هو يوسف بن تاشفين؟**!** لقد جاء إلى الحكم عندما وكله ابن عمه أبو بكر بن عمر زعيم المرابطين بإدارة الدولة وذهب أبوبكر للاصلاح بين قبائل منهاجة سنة (453 هـ) وعندما عاد أبو بكر ورأى القدرة الفائقة التي أبداها يوسف في إدارة الدولة مع حب الناس والتوفيق من الله به عليه، تنازل أبو بكر عن الحكم لابن عمه يوسف الذي حكم قرابة خمسين سنة، أحيا بها سيرة السلف الصالح، واتبع سمت الخلفاء الراشدين من قبل، إنها تضحية من حاكم واحد بكرسيه حفظ الله به الإسلام والأمة من الضياع والإندثار.
والآن نتوجه إلى مخاطبة الأفغان سواء الذين يجاهدون أو يتاجرون بالدماء والأعراض، وسواء ممن ينادون بعودة الملك المخلوع ظاهر شاه (يريدون أن ينفخوا الحياة في العظام الرميمة استجابة لأهواء السادة في واشنطن وباريس ولندن) أو الذين يرفضون عودة الملك ويأبونها فنقول لهم:
أليس الأولى بكم أن تقولوا كما قال المعتمد بن عباد: (جندية عند سياف خير من عبودية تحت أقدام كارمل).
أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ صحبة قائد مجاهد يعيش معك كاخ وصديق، يعاملك بالإجلال والتكريم والإحترام أم خدمة حاكم لا يعتقد بالدين الذي تجاهد من أجله، ولا يقرب إلا كل كافر وفاسق، وينفر ويشمئز من كل عالم وصادق، واتوجه بالسؤال الى الذين ينادون بعودة الملك فأقول: من الذي غرس الشيوعية في أفغانستان؟ أليس الملك هو الذي داس على حجاب المرأة المسلمة وقال: انتهى عهد الظلام إلى الأبد؟**!**

أليس الملك هو الذي وجه الدبابات إلى قندهار عندما رفضت نساؤها إلقاء الحجاب وقتل الألاف من أجل فرض خلع الحجاب ولارغام النساء على التهتك والتبذل والسفور؟ أليس الملك هو الذي جر هذه الويلات والمصائب إلى أفغانستان؟

2- والعبرة الثانية: الدور العظيم الذي يقوم به العلماء في قيادة الأمة، وفي جمع كلمتها، وفي بناء أجيالها ومواجهة الأهوال التي تهدد مصيرها.

ولقد ذهلت وأنا أطالع التاريخ الأندلسي، فكم من العلماء استشهد في غمار المعارك مع الصليبية.

إن فكرة استدعاء المرابطين لنصرة المسلمين في الأندلس ابتدأت من العلماء وعلى رأسهم أبو الوليد الداجي، وهذه المعركة التي أشرنا إليها (الزلاقة) قد استشهد فيها من العلماء الكثير منهم: أحمد بن رصيلة، وأبو مروان عبد الملك المعمودي (قاضي مراكش، والفقيه أبو رافع الفضل ولد الحافظ (أبي محمد بن حزم) صاحب المحلى.

وهنا نسجل بالفخر والإعتزاز لعلماء أفغانستان أنهم هم الذين نادوا بالجهاد وفجروا طاقات الخير في الأمة الإسلامية في أفغنستان وهم الدعاة لهذا الإتحاد، ولكننا نأخذ على العلماء شيئا واحدا انهم لم يقفوا وقفة حاسمة من الذين يحاولون أن يعبثوا بوحدة المسلمين، ويريدون تفريق كلمتهم، وتشتيت جمعهم، لم تصدر فتوى واحدة من العلماء في أولئك الذين لا يتركون فرصة في النيل من هذا الاتحاد، ويحاولون تمزيقه، وبالتالي إنهاء الجهاد سواء قصدوا أولم يقصدوا، فليسمع هؤلاء حديث المصطفى ص: من أعطى بيعه ثم نكثها لقي الله وليس معه يمينه رواه الطبراني بإسناد جيد.

3- والعبرة الثالثة: بطانة السوء التي تسول للزعماء والمسؤولين دائما فعل الشر، فكم من القيم ضاعت؟ وكم من الاوطان اغتصبت بأراء هؤلاء الذين يعيشون على الفتات، ويقتاتون بدماء البشر، ويعيشون على ركام الآلام والآهات والأنات.

وبطاقة الشر هذه هي التي تهافت حول قادة الجهاد ينفخون فيهم ويسولون لهم ما تهون أنفسهم ويزينون لهم الإنفراد عن الجماعة.

4- والعبرة الرابعة: أن النفوس السوية من عادتها أن تتجمع وتجمع قواها وتتناسي نفسها أمام الخطر الداهم الذي يهدد وجودها، فلقد تجاوز المعتمد مصلحته وعرشه إلى مصلحة الأمة، ووجود البلاد، وعزة العباد، لقد وجد أن اتباع الهوى سيعصف بعرشه وبيلاده، وأن العودة الى نفسه وصوابه سيحفظ عرشه وبلاده.

كان الأولى: أن يستيقظوا أمام المخططات الرجعية التي ترمي إلى سحق كل قيمة في أفغانستان وإلى التصفية الجسدية لهذا الشعب بكامله.

كان الأولى: أن ينظروا إلى المجازر الجماعية التي تقيمها روسيا للأطفال والنساء خاصة بعد مجئ (شيرننكو) إلى الحكم وبعد أن وجه أوامره للجيش الروسي في أفغانستان بأن يقتلوا الطفل قبل الشيخ، ففي كل يوم تقريبا تشهد أرض أفغانستان مذبحة مثل مذبحة صبرا وشاتيلا، دون أن ينزجر ت ج ار الدماء أو يرعوا.

لقد كان جديرا بمن في قلبه إحساس أو حرقة على المسلمين، وعلى اليتامى والأرامل والثكلى والجرحى والمشوهين وذوي العاهات من مصابي الحرب، الأجدر بهؤلاء أن يستيقظوا من الحس ويثوبوا إلى رشدهم. إذ أن (هجرة ثلاثة ملايين افغاني) إلى باكستان (ومليون) إلى إيران، وهجرة (سبعة ملايين أفغاني) آخرين من أفغانستان إلى أفغانستان (هجرة داخلية) مشردين في الجبال والأدغال بعد هدم بيوتهم وحرق منازلهم ومسحها من الوجود، أقول: هجرة هؤلاء الملايين كافية ليستيقظ الضمير إن كان في النفس أثارة من ضمير، أو بقية من صدق أولب.

ولكن الهوى قد يتملك القلوب حتى يصبح إلها (أفرأيت من اتخذه إلهه هواه وأضله الله على علم).

خراسان أم أفغانستان*

*- ملاحظة: نشر هذا المقال في مجلة الجهاد في العدد (40) رجب (1408) مارس (1988م) باسم: (د. حسن عبد الرحمن) لأن الإخوة كانوا يكتبون مقالات الشيخ بأسماء مختلفة للحفاظ على قوة المجلة.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اختلفت الأراء في مكان خراسان التاريخية، والتي كان لها دور كبير عبر الحقبات الزمنية على مسيرة الحضارة الإسلامية، وقد شرف الله خراسان بتخريج أفواج الجهابذة من العلماء الأفذاذ والقادة البارزين عبر التاريخ الإسلامي المشرف.

وأما ياقوت الحموي فرأيه مع الراجح لدى المؤرخين والجغرافيين أن خراسان منطقة شاسعة قسمت الآن بين ثلاث دولة:

1- قسم منها في إيران: وهي تضم القسم الشرقي من إيران المحاذي لأفغانستان وتسمى هذه المنطقة خراسان حتى اليوم.

2- والقسم الكبير منها في أفغانستان: فخراسان كانت تضم هرات وبادغيس وغور وكل الولايات التي تقع شمال جبال الهندكوش فهي تضم: بروان وكابيشا وبغلان وباميان وبدخشان وتخار وكندز وجوزجان وبلخ وسمنجان وفارياب (ميمنهة).

أما منطقتا فراه ونمروز فكانتا واقعتين في ولاية سجستان (ستان)، والغالب أنها ليست من خراسان على أرجح أقوال المؤرخين.

وأما كابل وجنوبها وشرقها فلا تدخل بأي حال من الأحوال في مسمى خراسان فلو ر وكابل وغزني وبكتيكا وأورزجان وهلمند وقندهار وزابل وننجرهار ووردك هذه الولايات لا تقع في خراسان.

3- وأما القسم الثالث من خراسان فهو واقع فيما وراء النهر ويضم قسما كبيرا من تركستان الغربية ويمتد حتى بحر الخزر، وكانت عاصمة (حاضرة) اقليم خراسان مرو وهي واقعة الآن تحت الإستعمار السوفيتي.

ومن أشهر المدن الأفغانية الخراسانية: (هرات وطالقان -تخار- وبلخ -مزار شريف-)، ولقد كان لخراسان أثر كبير في تسيير دفة الأحداث في حواضر العالم الإسلامي وعلى بهذا فإذا أطلقنا كلمة خراسان على أفغانستان فإننا لا نجافي الحقيقة كثيرا ...

مناقب خراسان:

لقد وردت أحاديث في فضائل خراسان منها:

1- عن بريدة سيكون إحدى بعوث كثيرة فكن في بعث خراسان بناها ذو القرنين أخرجه أحمد وأبو نعيم في الدلائل، وقال الحافظ ابن حجر: حديث حسن.

2- إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فأتوها قال الحافظ ابن حجر (في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد) أخرجه أحمد من حديث ثوبان وأحمد والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة وليس في إسنادهما متهم بالكذب.

جهابذة العلماء من أفغانستان:

لقد قدمت أفغانستان عبر مسيرة التاريخ الإسلامي العريق كواكب من العلماء كانت دررا فريدة في تاريخ الإسلام المشرق، وما من فن من فنون إلا وكان لعلماء أفغانستان قصب سبق فيه، ونورد ههنا بعض الأسماء كأمثلة لا للحصر:

1- فمن الفقهاء والمحدثين:

الإمام ابو حنيفة من كابل، ومكحول بن أبي مسلم (فقيه أهل الشام بعد العبادلة الأربعة) من كابل كذلك، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي (صاحب الصحيح)، وأبو الفتح بن حبان البستي، وأبو سليمان الحطابي (صاحب معالم السنن) وكلهم من منطقة قرب هرات، وأبو سليمان الجوزجاني (جوزجان)، ومحمد بن يوسف الفاريابي من (فارياب)، وأبو عاصم محمد بن أحمد الهروي (هرات) صاحب الزيادات والمبسوط والهادي وأدب القضاة، والجويني (إمام الحرمين) من جوين، والبيهقي (صاحب السنن) من مناطق حول هرات.

2- ومن المفسرين:

عبدالله الثقة بن المأمون الهروي، وأبو زياد البلخي: قال عنه أبو حيان التوحيدي: (ما رؤى الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه)، وعطتء الخراساني البلخي التابعي، وقد روى عن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، وشيخ الإسلام الصابوني من زندجان (هرات)، وعبد الرحمن الجامي الهروي - المفسر واللغوي الشهير- ولا زالت كتبه تدرس في الأزهر.

3- ومن الزهاد:

شقيق البلخي: أبو علي الجوزجاني، وعبدالله الانصاري الهروي (صاحب منازل السائرين الذي شرحه ابن القيم في مدارج السالكين).

4- ومن الأطباء:

ابن سينا البلخي، وأبو منصور الهروي.

5- ومن الفلاسفة:

ابن سينا، والكعبي.

6- ومن الجغرافيين والسياسيين:

أبو زيد البلخي، والسائح الهروي.

7- ومن المؤرخين:

البيروني والعتبي وهما من غزني.

8- ومن علماء اللغة:

الأزهري (صاحب التهذيب)، وأبو عمرو الهروي، وأبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي، وأبو سعيد الغوري، والجامي.

9- ومن الأدباء والعشراء:

يحيى بن خالد البرمكي، والبرامكة من بلخ، وبشار بن برد من تخار، وعطاء بن يعقوب الغزنوي، وأبو المعاني محمد ابن تميم البرمكي البلخي، والصاحب بن عباد الطالقاني، ورشيد الدين الوطواط، وأبو الحسن الكرخي الغزنوي.

وخلق كثير لا أستطيع إحصاؤهم في هذه العجالة، ومن أراد الإستزادة فعليه بكتاب (أفغانستان بين الأمس واليوم لأبي العينين المعري).

وعليه فإن بإمكاننا أن نقول: أن مناقب خراسان هي مناقب أفغانستان وسماتها هي نفس سماتها وبقعة أفغانستان تحتل جزءا كبيرا من خراسان التاريخية.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

حوار

الدكتور عبد الله عزام في حوار شامل مع مجلة المغترب

شنت وسائل الإعلام الغربية مؤخرا حملة ضد الوجود العربي في ساحة الجهاد الأفغاني خوفا من احتمال تأثر العرب بهذا الجهاد، وسعيا لإيقاع الفتنة بين إخوة الدين والمصير.

وبدأت الصحف والإذاعات الغربية تتهم المجاهدين العرب ظلما وإفكا بأنهم إنما جاءوا للإغتصاب والنهب والسلب، وهذا أيضا ما زعمته صحيفة (المسلم) الباكستانية ذات الإتجاه الشيعي الشيوعي.

كما هاجم الإعلام الغربي قيادات هؤلاء المجاهدين زاعما أنهم يحاولون نشر (الوهابية) في أفغانستان كبديل عن مذهب الإمام أبي حنيفة، وهي ألعوبة بريطانية قذره تولت كبرها الـ (**BBC**) التي قالت في إذاعتها الفارسية عن الدكتور عبدالله عزام إنه بروفسور وفد قبل ست سنوات إلى أفغانستان وجمع الشباب المتطرف من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد زعموا أنهم جاءوا للشهادة في سبيل الله ولكنهم في الحقيقة -والكلام للإذاعة- جاءوا لنشر الوهابية عن طريق القادة الأصوليين الثلاثة: سياف وحكمتيار ورباني.

وقد ذكرت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية أن الدكتور عبدالله عزام جاء لنشر الوهابية، وقالت الهيرالد تريبيون أن الشيخ عزام بروفسور فلسطيني يجمع حوله الشباب المتطرف.

في هذا اللقاء مع فضيلة الشيخ المجاهد الدكتور عبدالله عزام أردنا أن نسلط الضوء على هذه القضايا وعلى أخبار الجهاد الأفغاني، ومعارك المدن خاصة وأن الإعلام الأمريكي يمارس تعتيما على انتصارات أهلنا في أفغانستان.. وقد اتصلنا بالدكتور عبدالله في مقر ببيشاور واتفقنا على توجيه أسئلة له عن طريق (الفاكس) وأن يرد عليها (بالفاكس)، وفيما يلي نص المقابلة:

المغترب:

- سقط الرهان الغربي على اختلاف منظمات الجهاد وهي الآن متفقة سياسا وعسكريا ..
- أمريكا قتلت ضياء الحق.. وهذه هي الأدلة !
- حكومة بنازير بوتو تطبق المخطط الأمريكي.. وتضيق الخناق على المجاهدين!.
- وهناك خطة أمريكية لتصفية قادة الجهاد وعلى رأسهم حكمتيار وسياف.
- تولت بريطانيا كبر فتنة (الوهابية) ولحقها الغرب والشرق وحكومة كابل وإيران..
- يخشى الغرب انتقال نور الجهاد الأفغاني إلى فلسطين وتأجيج المعركة التي تقودها (حماس) بالحجارة !

سؤال: فضيلة الشيخ عبدالله.. من الطبيعي والحالة هذه أن نبدأ بسؤال عن الوضع العسكري، فما هو تقويمك لحالة النظام الشيوعي عسكريا ، من حيث عدد الجنود وكمية السلاح، وقدرته على الصمود؟

جواب: ليس عندنا عدد دقيق للقوات الحكومية ولكن يقال أن الجيش الان مكون من (85) ألف حزبي شيوعي بالإضافة إلى خمسين ألفا من عامة الناس الذي يجمعون كرها وإجبارا باسم التجنيد الإجباري، أما الروس فيوجدون في ثلاثة أماكن:

1- بيت الرئيس نجيب ومركز الدولة ولديه المستشار الروسي (فرنيكوف)، الذي أعطته روسيا صلاحيات مطلقة بالتصرف بمصير نجيب، ولا بأس عند روسيا الآن أن يقصى نجيب أو يسجن إذا ضمنت تنفيذ خطة مناسبة للمصالح الروسية.

2- المطار.

3- دار الأمان، وبجانبها صواريخ سكود ولها ثلاثمائة مختص من الروس.

وتصب روسيا السلاح صبا على أفغانستان، كما تنقل المواد الغذائية.. وتصل إلى مطار كابل يوميا ثلاثون طائرة نقل كبيرة.. وتأتي الطائرات العسكرية من روسيا وتحط في مطار بجرام-بروان. أما صمود الدولة الشيوعية فهذا راجع إلى علم الله وقدرته وقدره، إذ أن معركة كابل لم تنشب بعد، وستشهد أشهر هذا الصيف -والله أعلم- معارك ساخنة لم تمر كابل بفترة مثلها، ويتوقع بعض العسكريين مثل نائب وزير الدفاع الأمريكي أن تسقط كابل في هذا الصيف قبل سقوط الثلج في نوفمبر القادم. أما أنا فأتوقع أن يستمر الحكم الشيوعي عاما ، إلا إذا استسلمت حامية عسكرية في كابل فهذا يعجل بالإطاحة بالنظام.

سؤال: تردد وسائل الإعلام الأمريكية أن قرار الهجوم على جلال آباد كان مرتجلا ، وبضغط من الحكومة الباكستانية، فما صحة هذا؟ ولماذا تأخر سقوط المدينة؟

جواب: أما أن القرار كان بضغط من الحكومة الباكستانية، فهذا والله أعلم أمر عار من الصحة.. أما أنه كان مرتجلا فهذا صحيح أن رحيم وردك (جنرال عند سيد أحد الجيلاني) هو الذي بدأ المعركة دون

تنسيق مع بقية الأحزاب، اصطحب رحيم وردك مجموعة من المصورين والمراسلين الأجانب، وجاءوا والتقطوا له الصور، وترك المعركة ثم دخلت كتائب المجاهدين المعركة.
وقد احتل المجاهدون الحقيقيون الذين يسميهم الأمريكان الأصوليين مساحة كبيرة في ثلاثة أيام، إذ أن مساحة ننجرها الولاية التي مركزها جلال آباد كبيرة جدا (30 *70 كم) ولم يبق بيد الكفار سوى (4 * 7) كم، و أطراف مدينة جلال آباد محتل بيد المجاهدين، والمدينة تحت رحمة نيران المجاهدين.
ولقد تأخر الفتح لعدة عوامل أهمها:
1- أن المجاهدين لم يلقوا بثقلهم في المعركة، بينما سحبت الدولة قواتها من أماكن متعددة لتدافع عن المدينة..
2- أن جلال آباد يتركز فيها عتاة الشيوعيين، وتعتبر من أهم منابتهم.
- كثرة الألغام التي زرعها الشيوعيون حول المدينة..
4- تحرج المجاهدين من قصف المدينة بالأسلحة الثقيلة خوفا على المدنيين.

سؤال: تردد بعض الجهات أن حربا أهلية ستنشب بين فصائل المقاومة بعد سقوط النظام الشيوعي، كيف يمكن أن يفند هذا القول حينما نضع في الإعتبار التباين القبلي والخلافات السياسية بين بعض الأطراف في حركة الجهاد؟
جواب: نشوب القتال بين الأحزاب الجهادية ليس راجحا إذ أن المجاهدين فتحوا عدة مدن بالتعاون والشورى، ولم يحصل الاشتباك الذي كان يراهن عليه الغربيون، والأحزاب كلها انتخبت الدولة الإنتقالية، والأحزاب كلها متفقة على الإنتخابات للدولة الدائمة المقبلة إن شاء الله.

سؤال: قبل مدة نشرت صحيفة (النيويورك تايمز) خبرا عن قيام بنازير بوتو بعزل الضابط الباكستاني الذي كان ضياء الحق قد عينه مسئولا عن المساعدات التي تصل إلى المجاهدين، ما تأثير هذا على الجهاد؟ وما موقف الحكومة الباكستانية الحالي من الجهاد؟
جواب: لقد اتفق المراقبون -تقريبا - على أن أمريكا هي التي قتلت ضياء الحق بأن وضعت مادة كيماوية في طائرته أدت إلى سقوطها، وقد كان ذلك راجعا لاسباب عديدة:
1- إن ضياء الحق قد بقي واقفا بجانب الجهاد الأفغاني وقفة الشرف التي لا ترتضيها أمريكا ولا الغرب، ولذا فإن الغرب والشرق كانوا يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم وضياء الحق على قيد الحياة فيقوم اتحاد فيدرالي أو كونفدرالي بين أفغانستان ذات الطاقة البشرية الإيمانية الصلبة مع باكستان ذات القنبلة الذرية فتصبح قوة إسلامية ترتعد لها فرائض الكفر في العالم أجمع..
2- إن ضياء الحق قد أمسك المفاعل النووي بيده العسكرية، وحال دون اطلاع الأمريكان واليهود عليه مع أنهم استماتوا في ذلك.
3- لقد صرح ضياء الحق رحمه الله عندما أطاح بحكومة جونيجو المدنية أنه سيحكم بالإسلام وإن كلفه ذلك عرشه ونفسه، فقال له وزير داخليته أسلم ختك: سيقتلك الأمريكان، فرد عليه قائلا : (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض)، وكان ضياء يعلم أن الأمريكان يخططون لقتله، فكان حريصا على اصطحاب السفير الأمريكي معه في كل رحلاته.
4- لقد كانت أمريكا تريد جر الهند إلى المعسكر الغربي، ولكن الهند كانت تشترط أن تكون شرطي المنطقة، وكان ضياء الحق يرفض أن يعطي الدنية في دينه للهند.
وهذه جميعا قد ضمنتها أمريكا بغياب أسد الله (ضياء الحق) ومجئ حكومة بوتو.
والآن يعزل رجال ضياء الحق أو يحجمون أو تحد د صلاحيتهم، ويأتي إلى المسرح السياسي أناس يطبقون المخطط الأمريكي، فعزل حميد جل مدير الإستخبارات العسكرية (وهو رجل مسلم يقف مع قضية الجهاد من منطلق إسلامي)، وجئ بشمس الدين كالو الذي عزل أيام ضياء الحق بسبب مخالفته في دعم الجهاد الأفغاني، ومنعت المواد العذائية من الخروج من باكستان بقرار، وذلك لخنق المجاهدين من الناحية التموينية. ولم يستلم المجاهدون منذ مجئ هذه الحكومة رصاصة واحدة، ووضعت نقاط

الهدنة لتراقب الحدود، ومنع دخول سيارات المساعدات للمجاهدين. ومنعت سيارات الإسعاف -مؤخرا - من دخول أفغانستان لإخلاء الجرحى من أرض المعركة في جلال آباد. هذا إضافة إلى تصريحات الحكومة الباكستانية المتتالية أن معركة أفغانستان لا تحسم عسكريا بل تحل سياسيا .

سؤال: لماذا لم تعترف كثير من الحكومات في العالم بحكومة المجاهدين؟
جواب: لأن العالم كله لا يريد قيام دولة إسلامية في أفغانستان فمنذ سقوط دولة الخلافة على يد الذئب الأغبر أتاتورك في 3 مارس (1924م)، اتفق عالم الكفر كله على عدم السماح مرة أخرى بتكرار هذه الظاهرة فوق أية بقعة من الأرض، فالغرب كان يريد خروج روسيا، وهزمت روسيا ذليلة مهينة، والآن لا تريد الدنيا أن تقوم للإسلام قائمة، وبإمكانك أن تدرك السبب إذا قارنت بين الإعترافات بالحكومة الفلسطينية وبين الإعترافات بحكومة المجاهدين.

سؤال: صرح الشيخ سياف أن الحكومة الإسلامية ستنتقل إلى أفغانستان.. فهل تم هذا؟ وما المصلحة من الإنتقال الآن؟
الجواب: نعم.. تم هذا.. وقد باشر سياف عمله داخل أفغانستان في العاصمة الأولى (جاجي)، وبعض الوزراء يذهب إلى العاصمة الثانية (الأورغون)، وهي مناطق أفغانية قريبة من الحدود، أما مصالح الإنتقال الآن فهي عظيمة وأهمها: تحريك المعركة وتأجيج نارها وإدارة دفتها خاصة من قبل سياف وحكمتيار وخالص، الذين غالبا ما يشهدون المعارك بأنفسهم، ثم إن أفغانستان أكثر أمنا، لأن المخطط العالمي لا يمكن أن ينفذ ما دام بعض قادة الجهاد أحياء، وتميل المخابرات الأمريكية الآن إلى التصفية الجسدية وعلى رأس القائمة حكمتيار وسياف.

سؤال: أين وصل الحوار مع الشيعة ؟ وهل تغير موقف إيران عما مضى ؟ وهل تتوقعون تغيرا بعد وفاة الخميني ؟ وما هي طبيعة الاتصالات الإيرانية مع كل من باكستان والإتحاد السوفيتي حول القضية الأفغانية؟
جواب: يطالب الشيعة الآن باحتلال ربع مقاعد مجلس الشورى ومجلس الوزراء، واعتبار هذه النسبة قاعدة ثابتة في الحكومات القادمة. وقد نشرت الواشنطن بوست أن إيران أدخلت ستين ألف مسلح إلى مناطق الشيعة وسط أفغانستان ولكن المجاهدين لم يصلوا مع الشيعة إلى شئ، ولم يتفقوا معهم أبدا .
أما الإتصالات بين إيران وباكستان فهي تزداد الآن وثوقا وعمقا ، لأن أم رئيسة الوزراء شيعية، ولا نعلم عن تشيع أبيها، ولأنها زرات المعابد والمزارات الشيعية في العراق، وأعلنت أنها ستزور المزارات الشيعية في إيران.
وبدأت الصلات بين إيران وروسيا تزداد قوة يوما بعد يوم، طمعا من روسيا في الحصول على عقود جديدة للغاز والبترول، ومحاولة منها لخنق المجاهدين من كل الأطراف وعلى جميع الحدود المحيطة.

سؤال: شيخ عبد الله.. هل هي حرب من نوع جديد تلك التي بدأ يشنها الإعلام المعادي للجهاد، وذلك من خلال الإدعاء بأن الوهابيين يريدون السيطرة على أفغانستان وفرض آراء مخالفة لمذهب الإمام أبي حنيفة الذي يتبعه عامة الأفغان؟ ما مدى فاعلية هذه الحرب في زعزعة الثقة بين الأفغان والعرب؟
جواب: فتنة الوهابية نغمة جديدة تعزف عليها الجهات الغربية، وسهم مسموم لبث الفرقة بن الأفغان والعرب، سعيا لتحويل الجهاد الأفغاني من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال إقليمي، وقد كانت بريطانيا التي تولت كبر هذه المؤامرة ثم لحقها الغرب والشرق وحكومة كابل وإيران، وذلك لأن للعرب دورا كبيرا في رفع المعنويات، وحشد الطاقات وإدخال المساعدات، وتأجيج الجبهات، وإصلاح ذات بين المجاهدين، وتوحيد فصائلهم والتنسيق بينها، ولذا كان لا بد من تمزيق الأواصر بين العرب والأفغان، ولكن هذه الدعاية لم تستطع أن تفرق بين المجاهدين وبين إخوانهم العرب المهاجرين الأنصار، ولقد بدأ صوت هذه الفتنة يخفت، ونباحها يبح ويضعف.

سؤال: ما هو الدور الإيراني في هذه العملية؟
جواب: للصوفية دور، ولإيران الشيعة دور وللغرب دور كبير.

سؤال: هل يستطيع مكتب خدمات المجاهدين أن يقوم بتثقيف الأفغان حول حقيقة مصطلح (الوهابية)، وأنها لا تعدو أن تكون حركة إصلاحية من حركات أهل السنة والجماعة؟ في رأينا أن مثل هذا العمل يحبط المؤامرة التي يراد بها إيقاع الفتنة بين العرب والأفغان.. وهل ترون وسيلة أخرى لقطع الطريق على المتآمرين؟
جواب: لقد جاء الشيخ عبد المجيد الزنداني بشريط مسجل من الشيخ عبدالعزيز بن باز حول هذه القضية، وبرسائل إلى قادة الجهاد، ورسائل أخرى إلى العلماء، وقرأها الزنداني على القادة والعلماء، ثم قام الشيخ الزنداني بدور مشكور في جمع تصريحات قادة الجهاد حول دور الإخوة العرب مسجلة على الأشرطة المسموعة والمرئية، وقد ساعد المكتب في ترتيبها، ويقوم الأن مجموعة من الإخوة بتفريغ الأشرطة لطبعها باللغتيين الفارسية والبوشتو وتوزيعها على المجاهدين والمهاجرين -إن شاء الله-.

سؤال: هل تفسر هجوم الإعلام الغربي عليك شخصيا وعلى المجاهدين العرب بأنه توجس ورعب عالمي من خطورة دور العرب في الحركة الجهادية العالمية، أو رغبة جامحة في بقاء العرب بالذات بعيدين عن الإحساس بالحرية والكرامة والإنعتاق؟
جواب: يهدف الهجوم الغربي على دور الإخوة العرب إلى تحجيم الجهاد الأفغاني وإخفات صوت المعركة، وكف الأيدي عن البذل، ومنع انتشار روح الجهاد في العالم الإسلامي، وطمس معالم البطولة وآيات التضحية الرائعة التي تصلح أن تكون زادا لتربية الأجيال في القرون القادمة كما أن اليهود -وإعلامهم وراء هذا الكير الذي يبث ليل نهار ضد العرب (المرتزقة !!)- ترتعد فرائصهم خوفا أن يصل نور هذا الجهاد إلى أعماق الأرض المباركة فيؤجج لهيب المعركة التي تقودها (حماس) بالحجارة.. واليهود يخشون أن تتحول معركة الحجر إلى رصاصة وقنبلة.. وهذا كله يكون بالتأسي والإقتداء بليوث الله الذي يكبرون فوق ذرى الهندوكش.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالكرام فلاح

أما عن كونهم يهاجمونني شخصيا فلأنهم يعلمون أني تربيت في دعوة الإخوان المسلمين -الغول الذي يقض مضاجع الكفر جميعه ويؤرق أجفائه- ويعلمون أن الله سخرني لتجميع كثير من هؤلاء الشباب وتوجيههم، وتعميق معاني الجهاد في نفوسهم، وتثبيتهم بفضل الله و عونه في أرض المعركة، أضف إلى هذا أن اليهود يعلمون أني فلسطيني، ويخشون أن ننقل المعركة إلى بيت المقدس -إن شاء- مع جند الله الذين خاضوا أشرس المعارك حول كابل وقندهار وجلال آباد.
وأخيرا هم يعلمون أكثر من غيرهم أنه ليس لطاغوت في الأرض سلطة علي، ولا تربطني أية مصلحة مع أية دولة عربية حتى مع الأردن التي أحمل جنسيتها، فالأردن لم أدخلها منذ أربع سنوات، ولم أر بيتي في عمان ولا أهلي منذ هذه الفترة. ولا تستطيع سلطة في الأرض أن تزاول علي ضغوطا نفسية أو معنوية أو مادية، حتى باكستان التي نعيش فوق أرضها فلو كش رت عن أنيابها تركنا لها أرضها ودخلنا داخل أفغانستان.. وحسبنا الكلام عن أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ونستغفر الله عزوجل من تزكية أنفسنا..
وختاما فإنهم يعلمون أني إن غادرت هذه الأرض -والله أعلم- فسينفض السامر ويتفرق الجمع -إلا من رحم الله- وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.
أثابكم الله يا أبا محمد وحفظكم ورعاكم وجعلكم ذخرا للجهاد والأمة الإسلامية إنه ولي ذلك والقادر عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسائل

رسالة إلى أبي أكرم*

*- وهذه رسالة كانت موجهة من قبل الشهيد الشيخ عبدالله عزام عام (1986م) إلى أحد الإخوة الذين شاركونا المسيرة في بدايتها ويطلب فيها إقناع الدكتور أحمد نوفل بالحضور إلى أرض الجهاد، وقد إنفردت اللهيب بنشرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب أبا أكرم حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصلني منك عدة رسائل كلها تنضح إخلاصا وحبا . وتعبر عما يكنه قلبك نحونا من مودة، وهذا ليس موضع شك لدينا، ونحن نظن أنك أنت وأبو محمد عطا من أخلص الناس نحوي، وأظن أنكما تحباني اكثر من نفسيكما، ولا خلاف في هذا أبدا ، ولكن الخلاف في الموطن الذي يمكن أن نفيد فيه أكثر، ويمكن أن نقدم لدين الله أقصى ما نستطيع، أنت تعلم الظروف التي يحياها الناس عندكم من كبت وضيق، فكل حركة تحت المجهر، وكل من تنفس نفسا عاليا وجد الأنظار مصوبة نحوه.

ودعك عن الظروف الداخلية والخارجية التي يمر بها إخواننا وانشغالهم بأمور هنالك أشياء كثيرة أعظم منها وأرفع ذكرا وأعز شأنا ، وأما حرقة الأخوة فأرجو الله أن تكون معبرة بين المؤمنين، وأن تحفظ الحرمات وتحمي الأعراض وتصان الكرامات. لا يهمني شخصي، ولايهمني ما ألاقي من متاعب في ذات الله وابتغاء مرضاته لإعادة الفريضة الغائبة إلى دنيا المسلمين، وأن لا تمسخ التأويلات لنصوص القتال، ولاتؤول إلى كلمات مبرمة وجمل مرتبة مصفوفة، يكتبها فارغ بال وهو يجلس على أريكة تحت أثير المكيف.

فوقفنا هنا في أثمن فرصة مرت علينا في حياتنا نحاول تجميع المسلمين على هذا المعنى العظيم، وقفنا نحاول أن نفي بالعقد المعقود بيننا وبين رب العالمين: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة).

يا أبا أكرم: كم نحن إلى أيامك، وكلما ركبت السيارة البيضاء بين إسلام آباد وبيشاور وبالعكس كلما تذكرت تلك الساعات الجميلة التي كانت تمر بين الدعابة اللطيفة والكلمة المخلصة والقصة الظريفة.

يا أبا أكرم: إزدادت مشاغلنا، وتراكمت همومنا، وثقلت تبعتنا، وأتلفت إلى من يحمل معي هذا الحمل أو يخفف عني أو يواسي جراحي فأجد الكثيرين من إخواننا المخلصين ذوو تجربة محدودة ونظرة قريبة وحساسية بالغة لا يمتصها إلا وجود كبير بينهم يحل مشاكلهم ويؤلف بينهم باذن الله ومشيئته.

يا أبا أكرم: إن المجال مفتوح لكل من أراد أن يتحرك فوق هذه الساحة، وهي فرصة عزيزة أضاعها الذين يحاولون أن يعيدوا لهذا الدين مكانته، وهي أيام ثمينة ما مر في تاريخ المسلمين مثلها، معارك مستعرة في كل مكان، والحدق محمر وجنود الله يتساقطون في ميدان النزال فتلتهب المشاعر وتحيا النفوس..

يا أبا آكرم: لقد أضحى عملنا غالبيته في أرض الرجولة والكفاح، وقلم ا تجد في بيشاور إلا القليل من الإخوة، وهنالك مائة أخ تقريبا الآن موزعين داخل ولايات أفغانستان وعلى مساحتها العريضة الشاسعة.

يا أبا أكرم: لا زال مكانك شاغرا بين إخوانك...تتحمل عنها أعباء طريقها وتشاركهم آلامها وتهدهدها في هذا الطريق اللاهب الشائك....

يا أبا أكرم: هيا إلينا وأحضر معك أهلك أو ابقهم عندك وسيستفيد الكثيرون ممن تظن أن بقاءهم عندك أكثر فائدة.

هذا الصيف المقبل ساخن والله أعلم إذ أن الشتاء كان ساخنا هذا العام فكيف بالصيف؟

شاركنا همومنا وأحضر معك أخانا الكبير أحمد نوفل يعيش بيننا ولو لفترة شهرين أو ثلاثة في الصيف فوالله إنها عز الدنيا والآخرة ونور في الأرض وذخر في السماء.
سلامي إلى كل من حولك خاصة كاظم علي عيد هنيدي وأبو نظمي أبو مروان وجميع الأساتذة أبو ساجدة وراجح وهمام وغيرهم.
من عندنا نورالدين البنشيري يسلم عليك وكنت معه اليوم في طريقنا من إسلام آباد إلى بيشاور وأعطيته رسالتك يقرأها.
سلام عليك ياأبا أكرم وسلام على أيامك ونرجو الله أن يعيدها، وأستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم.

أخوكم/ عبدالله عزام
(28) رجب (1406هـ) (1986/4/8م)

رسالة إلى الوليد

السبت (4) ذي الحجة (1403 هـ) الموافق (1983/11/9م)
بسم الله الرحمن الرحيم
أخي الحبيب وليد حفظه الله ورعاه.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته; وبعد:
وصلتني رسالتك وأرجو الله عزوجل أن يكتب لكم الخير حيث كان ويرضيك به، وآمل من الله أن تكون على أحسن صله بربك وبكتابه العزيز، وأنك على مواظبة تامة على الجماعة، وعلى صله طيبة بإخوانك من حولك، ولا تنس صلاة الفجر فإنها ملتقى ملائكة الليل والنهار (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا)، ولا تنسى المؤثورات فإنها حرزك وحصنك من الشيطان ومن النفس، ومن شرور الناس أجمعين، ومفاتيح الخير في رزقك وصحتك وعبادتك وأكثر من تلاوة القرآن ففي الحديث القدسي من أشغله ذكري عن مسألتي أعطيته خير ما أعطي السائلين .
أما بالنسبة للجامعة الإسلامية التي أدرس فيها فلا يقبل فيها أحد إلا إذا قدم طلبا قبل (7/31)، ويجب أن يحضر المقابلة التي أجريت هذا العام في (8/15) وأما تكاليفها فهي مقبولة ومعقولة حتى الآن لا يأخذون أقساطا عالية بل عادية جدا ، وهنالك قسم داخلي للطلاب يأخذون من الشاب بدل أكله وشربه ونومه عشرة دنانير شهرية، ويعطونه حوالي ستة دنانير شهرية أى تكاليف الأعزب قليلة جدا .
ففي هذا العام لا تقبل وفي العام القادم تقبل بإذن الله، أخبار المجاهدين على خير وينتقلون من نصر إلى نصر وهنالك مؤامرات من كل العالم لسرقة الجهاد الأفغاني ونرجو الله أن يحمي الجهاد وينصر المجاهدين.
سلامي إلى كل من حولك وأستودعك الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم.

عبد الله عزام

رثاء ودعاء

مضيت يا أبا محمد*
في رثاء الشيخ سعيد حوى رحمه الله

*- ملاحظة: نشرت في مجلة الجهاد في العدد (53) في شعبان (1409هـ) مارس -إبريل- (1989م) صف (14)، ونشرت في لهيب المعركة في العدد (34) (11) شعبان (1409هـ) (18)مارس (1989م).

سلام الله على روحك الطاهرة، وهكذا سرت على نفس الطريق الذي شقه أمامك مروان حديد، ضمتكما بلدة أبي الفداء، وفي مرابعها طاب الفداء، تلفتما حولكما فلم تجدا إلا القليل فحملتما الأمانة إذ ناءت بحملها غلب الرجال وأفذاذ القلل (القمم) لقد حملت جسدك فوق ما يطيق ولكن:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

قلب كبير يحمل آمال أمة، ونفس عظيمة تصدت لحمل آلام جيل:

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصرن من لا يجالد
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه على حالة لم يحمل الكف ساعد

في دمشق أيام الدراسة في كلية الشريعة لأول مرة اكتحلت عيناي بمراك وقد حفت بك جمع الشباب المقبل على الله وأنت تشرح لهم النعم العظمى التي ستعم البشر فيما لو طبق نظام الإسلام، ثم مضت السنون واخترت طيبة المنورة منزلا ومررت بك في بيتك أثناء حجتي سنة (1391هـ) وقد كان بيتك مستراح الظامئين ومهوى أفئدة السالكين حبا بالتلقي على يديك، وطمعا في التلمذة بين يديك، ولكن أسد الشرى لا تطيق بعدا عن خيفتها، ولا تستطيع فراقا لعرينها، كيف لا، وقد برح بك الشوق إلى ليث حماة الشام -مروان- فما رضيت روحك أن تبقى في حرقتها بعيدا عن غمار المعركة، ومحنة الحركة، فما كان منك إلا أن طلقت الإخلاد إلى الراحة، وحطمت أغلال النعيم الجسدي، وقيود الإسار الروحي، وعدت هناك حيث يجثم الطاغوت بكلكله على الصدور، ويصوب نباله وذبله نحو النحور، وبدأت تدفع بكل طاقتك عجلة الدعوة لتمضي بها قدما في طريق الإباء، ولتنتشلها من وهدة الركود التي تعصف بكيان الدعوات وتحطم بنيان الحركات.

أبا محمد: ماذا نقول فيك؟ إذ حيثما فقدنا الرجال في ميدان وجدناك، طرقنا باب الدعوة فألفيناك قلعة من قلاعها، وتلمسنا طريق العلم فوجدناك علما من أعلامه ومضينا على جادة الجهاد فرأيناك صارما من صوارمها، ونظرنا في ميدان السياسة فلقيناك قلما من أقلامها، سلكنا طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوجدناك معلما بارزا من معالمها -هكذا نحسبك ولا نزكي على الله أحدا -.

أبا محمد: لقد جل بك الخطب، وعظم بك المصاب، وفدح بك الرزء، وعزاؤنا على الطريق فقد الأمة لرسولها ص وأصحابه الكرام فندعو الله أن يأجرنا في مصيبتنا ويبدلنا خيرا منك .

ولو نطقت روحك لقالت لمن يتشرفون بحمل جثمانك;

خذاني فجراني ببردي إليكما فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

ولو علمت كريمتك لرددت مع مالك بن الريب;

تقول ابنتي لما رأت طول رحلي سفارك هذا تاركي لا أبا ليا

هكذا مضوا: الواحد تلو الآخر، وشرفت الأرض بضم أجداثهم، أولئك القوم:

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

كم كنت أحب أن أجلس إليك لأستمع الدرر التي تغوص إليها من أعماق الأمهات الغرر، وكم كانت تعجبني آراؤك الفقهية التي كانت تنم عن سعة اطلاع وفقه دقيق عميق.

كيف ننساك وكتبك تأبى علينا أن نمل ذكراك؟ إن نسينا أخلاقك ذكرنا (جند الله ثقافة وأخلاقا) فنعرف عزمك وهمتك، وإن أردنا أن نتعرف على بدائع صنع الله عز وجل هزنا إلى كتابك (الله جل جلاله) شوق ونشوة.

وإن أزمعنا التعرف على هذا الدين ففي(الإسلام) مرتعنا وروحنا وإن شدنا إلى الرسول ص حنين ففي كتابك ريحاننا ومورِدنا، ويدفعنا (المدخل) إن نقتحم عالمك الذي كنت فيه تحيا ثم نمضي من أجل خطوة إلى الإمام على طريق الجهاد المبارك).

ونرتقي صعدا إلى القمة السامقة وهناك يحلو لنا أن نستروح أرج (آفاق التعاليم) وما أجمل الجولات مع الفقه الأكبر والأصغر.

ونتقلب مع النعيم في تصفح تفسير الكتاب الكريم.
ما نسيناك أيها الأخ الحبيب الأمير وعندنا (فصول في الأمرة والأمير) وسنبقى على الجادة سائرين -إن شاء الله- نستنير بارائك كيف لا وعندنا؟(دروس في العمل الإسلامي).
أبا محمد: أنت الآن بين يدي ربك وأفضيت إلى ما قدمت فنرجو الله أن يغفر لك زلاتك وأن يتجاوز عن سيئاتك وأن يدخلك مدخلا ترضاه، وأن يرزقك رزقا حسنا ، وهو خير الرازقين، ونرجو الله أن يجمعنا جميعا في الصالحين.

في رثاء الشيخ عبد الله ناصح علوان*
وغاب الصرح الشامخ

*- ملاحظة: نشر هذا المقال في مجلة الجهاد العدد (53) صفر (8041هـ) اكتوبر (7891م).
عرفتك من خلال كتبك أبا حانيا ومربيا مرموقا ، وعالما فذا وداعية يشار إليه بالبنان، وقائد جيل متعطش لفهم القرآن
ورأيتك في الأردن: فارا بدينك شامخا بعزتك، مستعليا بإيمانك متوقدا بحماسك وضرام غيرتك مع إخوانك.
وعايشتك: في جامعة الملك عبد العزيز أخا كبيرا وصديقا حبيبا ورفيقا رؤوما كريما ...
وفارقتك: وتوجهت إلى أرض النزال وميدان الأبطال هنا في ذرى الجبال وفي أعماق الغابات والأدغال في أرض أفغانستان التي تخط تاريخ الإسلام بالدماء وتبني سد الإسلام العظيم أمام الطوفان الأحمر بالجماجم والأشلاء.
وبقيت رسائلك ومقالاتك المباركة ترد إلى مجلتنا (الجهاد) -صوت أفغانستان المسلمة- تباعا وصرنا ننشرها وننتظر المزيد حتى جاء مقالك الرابع والأخير مع العدد الخامس والثلاثين.. ففاجأنا النعي في مجلة المجتمع.
فرحمك الله يا شيخنا الكريم وأستاذنا الكبير، ونرجو الله أن يجمعنا بكم في الصالحين.

أخوكم/ د. عبد الله عزام

دعاء وثناء*

من الدكتور عبد الله عزام إلى الشباب المسلم في الولايات المتحدة

*- ملاحظة: نشر هذا المقال في مجلة الجهاد العدد (93) في شهر جمادي الثانية (1408هـ) (1988م).
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:
أتضرع الى الله العلي القدير أن يحفظكم في خضم هذا البحر المتلاطم من الفتن، وأن يعصمكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرينا وإياكم الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا رشدنا وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، وأن يكره الينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا من الراشدين.
وأبتهل إليه تعالى أن يكتب لنا ولكم حياة السعداء وخاتمة الشهداء والحشر مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأن يجمعنا وإياكم في الدنيا على محبته وفي الآخرة في مستقر رحمته.
إخواني الأعزاء: لقد شرح صدري وأبهج نفسي إقبالكم على الله في هذه الصحراء المقفرة في دياجين ظلمات الجاهلية، وتعطشكم لسماع الكلمة الطيبة وتشوقكم لمن يحمل هذا الدين وحملكم لشعلة النور المبين في ربع العالمين.
ومما شفي نفسي وأبرأ سقمها حنينكم للجهاد وإقبالكم على أخباره وتتبعكم لخطواته والعيش مع قادته وأبطاله، وإني لأعلم أن البون شاسع ما بين واقعكم الذي تعيشون وبين أرض المعركة التي إليها تحنون

إلا أن النية الصادقة والعزيمة الماضية بعون الله تبلغ صاحبها منازل رفيعة، ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين). ومن طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو مات على فرشاه والصدق يقتفي الأعداد (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة).
لقد سرني في الولايات المتحدة أشياء:
- سرني من رابطة الشباب المسلم العربي: هذا المؤتمر الذي يعتبر من أكبر المؤتمرات في الإسلامية للطبقات المثقفة في العالم مع أن المشرفين عليه طلاب دخلهم محدود وطاقاتهم وإمكانياتهم قليلة وتجربتهم في العمل الإسلامي قريبة.
إلا أن نظامه وأمنه وتنسيقه مما يسترعي الإنتباه، ويستدعي الإهتمام، ونلفت نظر المسلمين الذين أنعم الله عليهم ان يتعاونوا مع هذه الرابطة.
ومراكز هذه الرابطة: واحات ظليلة في منافس الهجرة ورياض وارفة في مغاور الجاهلية المتطاولة وسفن نجاة آمنة في خضم بحر الضياع المتلاطم.
فجزاهم الله خيرا عن الشباب الذين يلتقطونهم من الإنزلاق في مستنقع الجنس الآسن، ويحمونهم بإذن الله من وحل الخطيئة التي اصبحت كالطعام والشراب في هذا المجتمع الآبق عن ربه، الهارب من نفسه، بعد أن حطم كل القيود الأخلاقية ودمر كل القيم الانسانية وفر لا يلوي على شيء ولا يستقر إلى شيء.
- وسرني من الفروع التي زرتها إقبالها على الجهاد وشوقها المجنح وأوراحها المرفرفة فوق أرض أفغانستان ومع المظاهرات التي تزلزل أرض فلسطين.
- وسرني بعض الوسائل التي استعملها الإخوة للجمع للجهاد منها: صناعة القمصان المكتوب عليها: **(Help Free Afghnstan)**
في ملبورن-فلوريدا، وأورلاندو، وسرني ما قام به فرع بورتلاند من شراء سيارة (**VAN**) متجولة بها معرض دائم عن أفغانستان والطواف بها في الولايات.
- وسرني هذه الحصالات (علب جمع النقود) التي تقوم بصناعتها (**I. C .H**) ومن ثم توزيعها على البيوت والمؤسسات، وكذلك صناعة الحلويات في كل أسبوع تباع بعد صلاة الجمعة في توستان وجمع حصيلتها للجهاد وهكذا.
ومما شرح صدري كثيرا : اهتمام جماعة نيويورك (مسجد الفاروق) وبروكلن بالجهاد عامة والأفغاني خاصة، ولقد ابهجني كثيرا هذا الحماس المتفجر والإندفاع المتدفق والعزيمة والمضاء الذي تلمحه في قسمات وجوه الشباب والشيوخ في هذه المنطقة.
- وسرني كذلك أنهم قاموا بأنفسهم بفتح مكتب لخدمات الجهاد الأفغاني ووكلوا محاميا واستخلصوا له رخصة من الحكومة وقاموا بترتيب رحلات الغزاة إلى أفغانستان وتكفلوا بتذاكرهم وبتتبع إخراج التأشيرات لهم من السفارة في نيويورك، ولقد وصل الينا حتى الآن منهم سبع حملات من الوافدين للغزو دون أن يكلفونا درهما واحدا ، وجزاهم الله خيرا وثبتهم.
ولذا فتحت حسابا باسمي في بروكلن ورقم الحساب:(644417610).
(INDEPENDENCE SAVING BANK)
فمن أراد أن يرسل أو يحول لهذا الحساب (**TRANSFER**) فجزاه الله خيرا ، ومن أراد أن يرسل شيكا شخصيا فليرسله على هذا العنوان:
مكتب الخدمات **(552- Atlantic Ave Brooklyn - N . Y .) (11217)** **Tel: (718-797-0207)** ويكتب على الشيك اسمي: (**Dr.Y AZZAM. ABDULLAH**).
- وختاما أشكر كل الإخوة الذين رتبوا لي الزيارات أو رافقوني في السفرات وعانوا معي في الحل والترحال، وأخص بالذكر منهم الإخوة هشام يوسف، محمد توبة، محمد بلاطة، عبد الرزاق العرادي، عبد الله الشيباني، محمد عوينات، عبد الله الأمريكي، واعتذر عن عدم ذكري بعض الأسماء نسيانا أو غفلة أو عمدا .

- أوصيكم بتقوى الله والإخلاص وتلاوة جزء من القرآن يوميا وقراءة أذكار الصباح والمساء من المأثورات، أو من صحيح الكلم الطيب، وحفظ اللسان، والورع في المطاعم والمشارب، والبعد عن النساء الأجنبيات، وحب المسلمين، وقراءة شرح العقيدة الطحاوية، وتفسير الجلالين، والمطالعة في ظلال القرآن والأذكار للنووي، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، وفقه السنة لسيد سابق، وقراءة كتب المودودي وابن القيم خاصة الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

مضيت يا أمـاه*

*- ملاحظة:كان العنوان (شكر على تعاز) فرأينا تغييره إلى (مضيت يا أماه) فهو أدل على الموضوع الذي كتبه الشيخ، ونشر في لهيب المعركة العدد (43) بتاريخ (7) جمادي الثانية (9041هـ) الموافق (1989/1/14م).
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:
يقول عز شأنه:(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون).
كانت أمنية فحققها الله -عز وجل- أن يكون الوالدان في بيتي أعيش في كنفهما وكنت حريصا أن أقبل يد الوالدة كل صباح ومساء حتى أسمع كلمة الرضا تنطلق من فيها وهي تثقل عندي الدنيا وما فيها.
وكانت أمنية أن تقضي أيامها الأخيرة عندي وأتقلب بين أعطاف الرضا ونعيم الإبتهال الذي ينطلق حارا من أعماق الوالدين، ولقد فقدت الوالدة ولكن الذي عزني كثيرا أنها دفنت في مقبرة الشهداء والمهاجرين في ذلك المكان الذي ضم الأجساد الطاهرة ومن بينها جسد يحيى سنيور وأبي عبد الحق الجزائري، ومما شرح صدري أنها توفيت في أرض الرباط وقلعة الهجرة.
ولئن مضت أمي إلى مصيرها وودعناها إلى مثواها الأخير الذي أرجو الله أن يكون روضة من رياض الجنة، فعزاؤنا أننا نودع فوق ثرى أفغانستان يوميا مئات الشباب الذين يبارون ماء المزن طهرا ويناطحون السحاب عزة وشموخا .
ولئن حظيت والدتي بأبناءها وأحفادها يحملونها ويدفنوها، وهي أكثر امرأة عربية في أرض المهجر حفت بأبناء وأحفاد يتاسبقون في خدمتها ويتبارون في القيام عليها أثناء مرضها.
أقول: لئن اكرمها الله بمن يخدمها من بيتها فلقد غابت آلاف النساء تحت الركام لم يعثر بنوها إلا على قطع لحم متناثرة من جسدها.
ولئن قضت أمي -رحمها الله- على فراشها فلكم أن تسألوا نهر كنر كم ابتلع من جثث العوائق وكم أغرق من العذارى اللواتي القين بأنفسهن فيه فرارا بأعراضهن وخوفا على طهرهن وقد سئلت في

هذه المسألة فقلت:(لقد أجمع فقهاء المذاهب الأربعة أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر إن خشيت على عرضها)، ونحن نردد ما كان يقوله عمر رضي الله عنه: (الحمد لله أن لم تكن أعظم الحمد لله أن لم تكن في ديننا الحمد لله أن ثبت الأجر).

لقد عاد الموت في حياتنا أمرا عاديا مألوفا بعد أن سلكنا هذا الطريق المرير وارتضينا لأنفسنا هذه الجادة المليئة بالعقبات المفروشة بالاشواك والمروية بالدماء بل عاد الموت في سبيل الله أغلى أمانينا، حقا ، فلم تعد النفس ترهب أن تلاقي حتفها أو تواجه مصيرها في أية لحظة، ما دام الأمر لله والنهاية هي الشهادة إن أخصلت النية وصدقت الطوية، وفي الحديث الصحيح: من فصل في سبيل الله فمات أو قتل وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة رواه أبو داود والحاكم.

وختاما : جزى الله الإخوة الذين تكرموا بإرسال برقيات التعزية ورسائلها خير الجزاء ولا أراهم الله مكروها ومتعهم الله بدينهم وبأنفسهم وأهليهم في الدنيا والآخرة.

أخوكم / عبدالله عزام

فتاوي

فتوى شرعية*

فتوى حول أخذ الربا على الأموال المودعة في البنوك من أجل المجاهدين

*- ملاحظة: نشرت في العدد (66) من لهيب المعركة.

أفتى المجلس الفقهي الأعلى للدول المودعة لأموالها في الغرب وللأفراد وللتجار أن يأخذوا ربا أموالهم التي يستحقونها حسب النظام البنكي في الغرب بشرط أن تصرف في وجوه الخير، لأن القاعدة الشرعية تقول: (المال الخبيث سبيله الصدقة)، وبشرط أن لا يدخل جيب الآخذ أي درهم، ولا يجوز للآخذ أن يسد من الربا الضرائب المستحقة عليه للدولة التي يعيش فيها.

وقد وافق المجمع الفقهي بالإجماع على جواز هذا بشرط أن ينفق في أي طريق من طرق الخير، وقد عارض البعض في طريق واحد وهو بناء المساجد من هذا المال.

أما الآخرون فقد أجازوا بناء المساجد والصدقة على الأيتام والجهاد والفقراء وغير ذلك.

ونحن بناء على هذا نرى جواز ما أجازه هذا المجمع وهو أخذ الربا على الأموال المودعة بشروط:

1- أن تحول الى طرق الخير والجهاد أولى هذه السبل.

2- يشترط أن لا يستفيد منه الآخذ درهما واحدا ولو لدفع الضرائب.

3- أن لا يكون في البلد بنك إسلامي.

4- أن يكون مضطرا لإيداع أمواله في البنك الربوي.

(ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشد).

الدكتور عبد الله عزام

(19/8/1989م)

بسم الله الرحمن الرحيم

تصحيح وتوضيح حول أخذ أموال الربا *

*- ملاحظة: نشرت في العدد (67) في لهيب المعركة.

ذكرنا سابقا أنه أفتى المجلس الفقهي الأعلى بجواز أخذ ربا الأموال المرصودة في البنوك الغربية حتى لا تترك للكفار وقلت هناك: لا بأس ؛بأخذ هذه الفوائد الربوية بناء على هذا لأن: المال الخبيث سبيله الصدقة ، وقد اشترطت أربع شروط:
1- أن لا يكون في البلد الغربي مصرف على الطريقة الإسلامية فلا يجوز الإيداع في بنك ربوي ما دام البنك الإسلامي قائما.
2- إذا كان إيداع المال للضرورة كالخوف عليه من السرقة.
3- أن لا يستفيد منها صاحب المال ولو درهما ولو لسد الضرائب عنه للحكومة التي يعيش فيها.
4- أن تقدم للمحتاجين من المهاجرين والمجاهدين والفقراء.
وقد كانت الفتوى جوابا على سؤال الإخوة الذين يعيشون في السويد..، وزيادة في التوضيح أقول:
1- الربا حرام قطعا ولو كانت نسبته واحد في الألف.
2- على المسلم أن لا يدع الكفار يستفيدون من ماله فإذا كان في البنك صناديق مغلقة للأمانات فيجب وضع المال فيها ولا يسمح للبنك باستعمال ماله.
3- إن لم يستطع المسلم أن يحفظ ماله في البنوك في صناديق الأمانات المغلقة فيجب أن يضعها في الحساب الجاري الذي يمكن أن يسحب منه في أي وقت حتى لا يستفيد البنك منه.
4- إن لم يستطيع أن يحفظ أمواله بالطرق السابقة وكان قانون البنك يعطيه (ربا على أمواله) فهل يترك الربا للبنك؟ اختلف الفقهاء على رأيين:
أ- منهم من قال: يأخذ الربا مع العلم أنه حرام ومال خبيث ولا بد من التصدق به مع أن صاحب المال لا أجر له، وهذا الرأي رجح مصلحة أخذه بدلا من تركه لليهود أو الكفار أصحاب بيوت المال، وهذا الرأي الذي رجحناه بأن يأخذه ويوزعه على فقراء المسلمين من المجاهدين والمهاجرين وغيرهم.
ب- ومنهم من منع ذلك مطلقا ، ورأى ترك الربا لليهود والكفار أفضل ، والله أعلم بالصواب.
اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

الدكتور عبد الله عزام

وصايا واعلان

من وصايا الإمام الشهيد عبد الله عزام* للشباب الذاهبين لجبهات القتال في أفغانستان

*- ملاحظة: نشرت في العدد (89) من لهيب المعركة (21) رمضان (0141هـ) الموافق (7) إبريل (0991م)، وقد وزعت على المجاهدين العرب في حياة الشهيد.
1- الحرص على عدم الإصطدام ب- (المولوية)(1) الأفغان. 1- يطلق الأفغان على علماؤهم مولويه مفرده مولوي.
2- عدم انتقاد المذهب الحنفي أمام الأفغان.
3- لا تأكل أمامهم طعاما دون أن تعطيهم منه أو كل منه سرا .
4- لا تصدق كلام الأفغان في خلافاتهم بعضهم عل بعض.
5- لا تختلفوا أمام الأفغان فتقل هيبتكم.
6- الطاعة الكاملة بالمعروف لأمير العرب في الولاية والشورى غير ملزمة.
7- صلوا على المذهب الحنفي وكذلك الوضوء واتركوا هيئات الصلاة حتى لا تشوشوا على الأفغان دينهم.
8- إن سألوك عن مذهبك فاصدقهم بأنك شافعي أو غيره ولا تكذب عليهم.
9- السعي للإصلاح بين الناس في الداخل ومحاولة تخميد نار الفتنة.
01- إنشاء دار للقرآن الكريم ولو صغيرة في كل جبهة تتواجدون فيها.

11- تقسيم المساعدات للجميع أي (التنظيمات) ويراعى أن الذين أقرب للعدو وأشد قتالا لهم نصيب أكبر على حسب حاجتهم.
21- زيارة جميع الجبهات في كل التنظيمات وعدم البقاء عند تنظيم واحد، حتى لا تحدث حساسيات بين التنظيمات أو حتى لا يكونوا عرب جمعية أو عرب حزب...
عبد الله عزام

إعلان إلى الإخوة المتبرعين)

ملاحظة: نشرت في مجلة الجهاد العدد (75) في ذو الحجة (9041هـ) يوليو (9891م) صفحة (12).
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:
فلقد عرضنا في بضع عشرة حلقة من (لهيب المعركة) الدور الذي يقوم به مكتب الخدمات، وبينا ضرورة التواجد العربي للجهاد الأفغاني، وأنهم كالملح بالنسبة للطعام، فالمجاهدون الأفغان هم الطعام والعرب كالملح.
والعمل الذي يقوم به هؤلاء الإخوة المجاهدون العرب إنما يقوم به معظمهم محتسبين لوجه الله، لا يطلبون سوى الطعام واللباس وتكاليف التنقلات من شراء حصان أو غيره مع تكاليف إطعام دابته، ولكن بعض هؤلاء الإخوة متزوجون ولا بد من كفالة أسرهم من استئجار بيوت تؤوي أسرهم وما يكفيهم من الطعام بالمعروف، وهؤلاء يقومون بالتعليم لدى الأفغان، ورفع المعنويات، وتوجيه الجبهات وتوحيد الفئات، والإصلاح بين الأحزاب، وتوزيع أموال على الأيتام وإيصال التبرعات إلى ايدي القادة في خنادق القتال بالإضافة إلى تدريب بعض الأفغان على أسلحة ونزع الألغام وتوجيه الهاون والمدفعية والتكتيك، وشراء الزطعمة وإيصالها إلى المجاهدين في المعركة، ولا أكون مبالغا أن قلت: (إن العربي المجاهد يحي جبهة بكامله)، ولذا يقول بعض قادة الجهاد (شاب عربي واحد أحب إلينا من مائة ألف دولار).
ولذا فإنا نستأذن الإخوة المتبرعين أن نقطع نسبة من أموالهم قد تصل إلى (10%) لكفالة هؤلاء الإخوة الذين لو دفع لهم جميعا رواتب لاحتجنا ملايين الدولارات وإنما هو حفظ ماء وجوه الإخوة المجاهدين العرب الذين نفروا في سبيل الله مهاجرين ومجاهدين وإنما كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال بيت المال بمنزلة وصي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أخذت ما يكفيني بالمعروف) مع العلم أن مكتب الخدمات لا يدع رواتب المجاهدين العرب الذين ليس لهم عائلات وطعامهم في بيت الضيافة والمعسكرات مع غيرهم وفي الجبهات مع المجاهدين، وإنما يعطى بعض المصروف القليل لجيبه إذا اشتهت نفسه شيئا وما أطاقت أن تعيش على الدوام كالمجاهدين الأفغان على الخبز الجاف والشاي المر، وهم يعيشون في الجبهات حياة الكفاف.
وكذلك ليكن في علم الجميع أننا لا نعلم هيئة إغاثية تعطي المجاهدين العرب أقل مما يعطية مكتب الخدمات ومعظم الإخوة المتزوجين الذين يعملون معنا -على حد علمي- مدينون يطالبون بزيادة أعطياتهم وأنا أرفض.
فنأمل من الإخوة المتبرعين أن تطيب أنفسهم بهذه النسبة حتى يأكل الشباب العرب أطعمتهم حلالا طيبا ، هنيئا مريئا تطيب به أنفسهم مع العلم أن بعض الشباب قد يمكثون سنة بكاملها يطوفون ولاية بكاملها حتى يوزع أموال الأيتام وبعضهم متزوج يترك عائلته سنة بكاملها أو دونها حتى يقوم بالواجب الذي كلف به وحتى الآن لم نخصم من كفالة الأيتام شيئا ولا نريد أن نخصم من كفالة اليتيم في المستقبل، ونرجو الله أن يبارك للجميع في دينه وماله وأهله ودنياه وجزى الله الجميع خير الجزاء

أخوكم: الدكتور عبدالله عزام